الاستعمار اللغوي في فلسطين:
صراع الهوية بين العبريّة والعربيّة

الأستاذ الدكتور خليل عودة

جامعة النجاح الوطنية، فلسطين

الخميس ١٠ شعبان ١٤٣٩هـ - الموافق ٢٦ نيسان ٢٠١٨م

الملخص

يسعى هذا البحث إلى بيان تمادي الاحتلال الإسرائيلي في فرض لغته في فلسطين على حساب العربية، وبيان أن هذا الخطر يزداد نتيجة هيمنة الاحتلال المباشرة على مجريات الحياة في فلسطين، ولا يعني ذلك أن اللغة العربية غير موجودة، بل على العكس هي موجودة ومعترف بها لغة رسمية إلى جانب العبرية، ولكنها تواجه التهميش المتعمد من خلال إضعافها وإحلال بدائل عبرية لكثير من المفردات المستعملة والدارجة عند العرب، ويقدم البحث اقتراحات عدة لمواجهة هذا الخطر.

يعدّ احتلال اللغة واحدًا من أهمّ الأهداف التي يسعى الاحتلال إلى تحقيقها، وربّما كان احتلال اللغة أخطر بكثيرٍ من احتلال الأرض؛ لأنّ احتلال الأرض سينتهي، طال الزمان أو قصر، أمّا احتلال اللغة فلا يمكن أنْ يتوقف لأنّ أثره سيبقى قائمًا ومستمرًّا حتى بعد زوال الاحتلال، وهذا ما حدث فعلاً في احتلال فرنسا للجزائر والمغرب العربيّ، فقد انتهى الاحتلال ولكنّ استعمارهم للغة لمّا ينته بعد، وسيبقى أثره واضحًا في تشكيل الهوية والفكر القائم على المزاوجة الواضحة بين اللغتين والثقافتين؛ العربية والفرنسية.

ويأتي الاستعمار اللغويّ في فلسطين من قبل الاحتلال الإسرائيليّ الذي يسيطر على الأرض، ويتحكم بشكلٍ كاملٍ في الأمور الحياتية الأساسية للسكان الذين يواجهون القمع السياسيّ والعسكريّ والفكريّ، ويضطرون للتعامل مع الاحتلال على أنّه واقعٌ مفروضٌ، وفي المقابل يتمادى الاحتلال في فرض لغته على أرض الواقع، وإجبار الفلسطينيّ على تقبلها واعتمادها؛ لأنّه مضطرٌّ للتعامل معه من خلال التبادل التجاريّ وأمور العمل، أو مع الجنود من خلال المعابر والحواجز ونقاط التفتيش، إلى غير ذلك.

ويتخذ الاستعمار اللغويّ شكلين أساسيين:

أولهما: المصطلحات التي يفرضها الاحتلال على وسائل الإعلام.

ثانيهما: المفردات التي يصدرها إلى اللغة العربية، وتصبح واقعًا لغويًّا مفروضًا ومقبولاً لدى الفلسطينيين.

أولاً- المصطلحات التي يفرضها الاحتلال على وسائل الإعلام:

وهذه المصطلحات يختارها الاحتلال بعنايةٍ ودقةٍ وقصدٍ، والاختيار يعني في الدراسات الأسلوبية المعاصرة عملاً مقصودًا يلجأ إليه الكاتب عندما يجد أنّ اختياره هو الأقدر على إيصال المعنى الذي يريده، وهو الأقدر على التأثير في

نفس المتلقي، "ومما تجدر الإشارة إليه أنّ اختيار كلمةٍ واحدةٍ لوصف الحالة نفسها يرتبط ارتباطًا كبيرًا بظاهرة الترادف، وهي ظاهرةٌ متفشيةٌ للكلمة في اللغة العربية بشكلٍ كبيرٍ، إذ إنّ أمام المبدع كلمات كثيرة يمكن أنْ يستخدم منها ما يريد، لكنّ انتقاءه للكلمة دون غيرها يبرز إيحاء الكلمة وظلالها الخاصّ بها، وإيحاءاتٍ تحملها كلّ كلمةٍ من الكلمة الأخرى التي ترادفها"(١).

والكاتب أو المتكلم يختار كلمةً لغرضٍ ذاتيٍّ يتعلق بحالاتٍ نفسيةٍ تدفع به إلى اختيار كلماتٍ بعينها دون غيرها، أو لغرضٍ خارجيٍّ بهدف ترسيخ فكرةٍ معينةٍ، أو فرض توجهاتٍ سياسيةٍ أو اقتصاديةٍ أو اجتماعيةٍ، تصبح مع مرور الوقت أمرًا واقعًا ومفروضًا. ويصل مع مرور الوقت إلى أمرٍ مقبولٍ بحكم الواقع النمطيّ الذي يتعايش معه المتلقي.

وقد يكون المتلقي درج على معايشة كلمات ومصطلحات أخذت شيئًا من القداسة والاحترام، وشكلت بالنسبة له رصدًا ثقافيًّا وفكريًّا لا يمكن التخلي عنه، أو استبداله، فكلمة (العدو) مثلاً لها مفهوم واضح ومحدد في القاموس السياسي لدى العربي بشكل عام والفلسطيني بشكل خاص، (فالعدو) في المخزون الفكري الجمعي هو العدو الإسرائيلي، الذي يشكل بعدًا واحدًا ومفهومًا واحدًا، ولا تحتاج الكلمة إلى توضيح أو تفسير أو شرح، ولكن دلالة هذه الكلمة بدأت تتغير في المفهوم والقناعات، وتشعبت دلالتها وتوسعت، وأضيفت إلى كلمات غيرت مدلولها ومعناها، مثل: أعداء السلام، وأعداء الديمقراطية، وأعداء التعايش، وأعداء الحرية، وهكذا.

---

(١) العدوس، يوسف: الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط دار المسيرة – الأردن، ط١، ٢٠٠٧م، ١٤٢٧هـ، ص١٧٠.

ودلالة الكلمة لم تعد تقتصر على عدو واحد، فهناك العدو الشيعي والعدو السني، والعلوي، والإخواني، والشمالي، والجنوبي، وعدد ما شئت من أشكال العدو التي يحاول الاستعمار اللغوي فرضها على قاموسنا اللغوي والفكري.

وتتعدد أشكال الاستعمار اللغوي من خلال المفردات اللغوية التي يحاول الاحتلال فرضها، مستغلاً قدرته الإعلامية وإمكاناته التقنية ووسائل الاتصال الحديثة في فرض ما يريد من مفردات اللغة، وإلغاء ما لا يريد، فكلمة (المقاطعة) على سبيل المثال لم يعد لها وجود في القاموس اللغوي السياسي، وإلغاؤها من القاموس اللغوي، ترتب عليه إلغاؤها من التفكير العربي، وأصبحت الكلمة بمدلولاتها السياسية وأبعادها النفسية في حكم الماضي، وحلت كلمات بديلة لها في القاموس اللغوي السياسي، مثل (التطبيع) و(التعايش)، وهي مفردات أصبحت دارجة وتفرض نفسها بقوة في وسائل الإعلام، ليس فقط العبرية، وإنما أيضًا العربية.

ويطول الحديث في تعداد مفردات الاحتلال اللغوي، فالقضية الفلسطينية، أصبحت مجرد مشكلة، وإنهاء الاحتلال أصبح إعادة انتشار، والحل أصبح تسوية، والتسوية أصبحت تبادل أراض، والسلطة الوطنية بديلاً عن الدولة، ومن إزالة المستوطنات إلى تجميد الاستيطان، والمطالب الفلسطينية بديلًا عن الحقوق، والتسهيلات بديلاً عن العقوبات، وإغلاق الطرق بديلاً عن منع المرور، والمشاغبات بديلاً عن المظاهرات، والاعتداءات بديلاً عن الاحتجاجات، والعمل الإرهابي بديلاً عن المقاومة، والتطرف الديني بديلاً عن الإسلام، والتعصب الديني بديلاً عن التمسك بالمشاعر الدينية، والأمر لا يتعلق بمجرد تغير مفردة وإحلال مفردة أخرى، ولكنه أبعد من ذلك بكثير، فهي تتعلق بتغيير الفكر وأنماط السلوك، وكيفية التعامل مع الاحتلال، الذي يستغل اللغة بذكاء مقصود، ودراسة واعية، وينحرف باللغة عن دلالاتها المقصودة، واختيار أصحاب اللغة لها، إلى

دلالات جديدة تخدم أغراضًا سياسية وأيدولوجية مغايرة تمامًا للغرض الذي تم اختيار المفردات على أساسه من أصحاب اللغة الأصليين، وهذه المفردات والمصطلحات تكشف بوضوح عن الغرض السياسي والفكري المضمر في استخدام هذه المفردات، وفرضها في وسائل الإعلام الموجهة إلى الفلسطيني أولا، والعربي ثانيًا، ولها أثرها الواضح أيضًا في بقاء اللغة أو اندثارها؛ "للسياسة أثر مهم في بقاء اللغة أو اندثارها، وقد تنبه لهذه المسألة العرب القدماء، خاصة في المغرب العربي، وخاضوا غمارها في مؤلفاتهم، وعبر عن ذلك ابن خلدون في مقولته الشهيرة: "ولع المغلوب بتقليد الغالب"، فالمغلوب يرى في غالبه قمة الكمال والرقي، فيقلده في لغته وعاداته وتقاليده ومأكله وملبسه"(١). وبسبب ذلك لا يمكن الفصل بين العامل السياسي والأثر اللغوي، بل قد تصبح اللغة وسيلة من وسائل الحرب الدائرة بين أطراف الصراع، وهنا "يجب التأكيد على أن الصراع السياسي يؤثر على المخزون اللغوي، وفي حالات معينة تصبح اللغة جزءًا لا يتجزأ من الصراع، كما هو حاصل في البلاد، وما دام هذا الصراع مستمرًّا، فإنه لا يتوقع أن يطرأ تحسن جذري على مكانة العربية في القريب العاجل"(٢).

وهذا يعني وجود خطر حقيقي على اللغة العربية في داخل فلسطين، ولا يعني ذلك أن اللغة العربية غير موجودة، بل على العكس هي موجودة ومعترف بها لغة رسمية إلى جانب العبرية، ولكنها تواجه التهميش المتعمد من خلال إضعافها وإحلال بدائل عبرية لكثير من المفردات المستعملة والدارجة عند العرب.

---

(١) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية بين الماضي والحاضر، إصدار مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، باقة الغربية – فلسطين، ط٢٠١٠، ص٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص٣٩.

المفردات العبرية التي يستخدمها الفلسطينيون بديلاً عن العربية:

نظرًا للتداخل القائم بين العرب والإسرائيليين، وتشابك أمور الحياة بين الطرفين اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، فقد درج الفلسطينيون على استعمال كثير من الكلمات العبرية، ليس فقط مع الإسرائيليين، ولكن في كلامهم اليومي فيما بينهم، ما أدى إلى تداخل لغوي بين العربية والعبرية في ظل ظروف حياتية متشابكة بين العرب واليهود في داخل فلسطين.

وقد تختلف عملية استيراد اللغة واستيعابها حسب عملية التأثر والتأثير، ولهذا يختلف استخدام اللغة العبرية مع اللغة العربية أو بديلاً عنها، حسب المكان الجغرافي أولاً، وتبادل المصالح التجارية، أو طبيعة العمل، أو ظروف الحياة اليومية.

فالفلسطينيون في فلسطين ٤٨ أكثر تأثرًا بالعبرية من الفلسطينيين في باقي الأراضي الفلسطينية المحتلة، "فاستخدام اللغة العبرية بين الشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨ أصبح جزءًا من مخزونهم اللغوي بسبب الاتصال المباشر مع متحدثي العبرية في الأطر الرسمية متمثلة بالهيئات الحكومية والتعليمية والقانونية، والأطر غير الرسمية متمثلة بأماكن العمل وبالمرافق الاجتماعية والاقتصادية، الأمر الذي وصل حد التأثير على حيوية اللغة العربية في ظل الوضع الاجتماعي السياسي المتغير"(١).

والأمر نفسه ينطبق على شريحة العمال الفلسطينيين أو التجار الذين يضطرون للتعامل مع الإسرائيليين في أمور العمل أو التجارة، وتكرار هذه الكلمات ليس فقط في تعاملهم مع اليهود، وإنما في التعامل اليومي فيما بينهم، أو

---

(١) حسن، أحمد حسن: عربية الشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨ المحكية والمكتوبة، تأثيرات متبادلة مع العبرية الحديثة، ط مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية – الأردن م٤٢، ع٢، ٢٠١٥، ص٣٥٨.

في تعاملهم مع المحيط العربي الذي يعيشون فيه، على اعتبار أن هذه الكلمات لا يجدون بديلا لها، أو أنهم يستخدمونها من قبيل إظهار معرفتهم باللغة العبرية وإبراز مهارتهم في تعلم اللغة وتوظيفها في معاملاتهم اليومية. الأمر الذي يجعل العربية تواجه تحديًا صعبًا في مقاومة الاستعمار اللغوي الذي يغزو اللغة العربية، ويسيطر على أجزاء مهمة في قاموسها المحكي. "إن العربية في فلسطين تدافع عن نفسها في جهتين داميتين، فهي واقعة بين مطرقة الإنجليزية وسندان العبرية، في ظل الاحتلال البغيض الذي يحاول طمس كل معالم العروبة... ومما يجعل مهمة الحفاظ على العربية عسيرة ذلك الاعتماد المقيت على الدولة العبرية في كثير من متطلبات الحياة اليومية كالعمل والمواد الاستهلاكية ولا سيما التي يكثر من شرائها الأطفال الذين هم في طور البناء اللغوي"(١).

فالاحتلال يتجاوز الأرض، إلى احتلال الفكر والثقافة التي تأتي تابعًا لاحتلال أجزاء من اللغة، وترتب على ذلك استبدال أسماء الشوارع والأماكن والساحات والميادين بأسماء عبرية، وأحيانًا يوضع الاسم العربي، ولكن في مكان غير بارز، وبحروف أصغر من الحروف العبرية على المستوى الشكل والمساحة أيضًا؛ فقد سنّت إسرائيل عام ١٩٥٥ قانونًا ينص على أنه لا يحق لأحد أن يضع إعلانًا أو لافتة في الشوارع إلا باللغة العبرية، ونص القانون أيضًا على أنه إذا استلزم الأمر في مدينة الناصرة التي معظم سكانها من العرب

---

(١) جبر يحيى وعبير حمد: **العولمة وأثرها على الشعب الفلسطيني**، مجلة رؤية تربوية، ع٢٠، إصدار مركز القطان، رام الله، ٢٠٠٥، ص٨٤.

استخدام لغة أخرى غير العبرية في الإعلان، فمن الضروري أن يشغل النص العبري ما لا يقل عن ثلثي المساحة، وأن يتم وضعه على رأس الإعلان وبحروف أكبر من حروف اللغة الثانية[1].

ويربط اليهود بشكل واضح بين احتلال اللغة واحتلال الأرض، بل إن طرد الفلسطينيين من أرضهم يصاحبه دائمًا في فكرهم، محاربة اللغة العربية، ويتم ذلك بإحياء اللغة العبرية على حساب اللغة العربية، وفي هذا السياق "يقول البرفيسور (الداد) زعيم حركة (من أجل أرض إسرائيل الكاملة) في صحيفة (معاريف) عن مستقبل عرب فلسطين ما يلي: (إن الحل الإنساني –في نظري– لتقوية دولة إسرائيل، هو طرد العرب من أرض إسرائيل، ومكافحة لغتهم، حيث يوجد بيننا وبينهم خلاف موضوعي، وتناقض تام، فإما أن تكون أرض إسماعيل، أو أرض إسرائيل، إنني أطالب بحقي في إحياء لغتي العبرية وحدها دون غيرها في أراضيّ، فلو كانت هناك محكمة دولية عادلة وطرح الموضوع أمامها لحكمت لنا بإحياء لغتنا في أرضنا وإعادة غيرها"[2]. والمسألة عنده هي إبادة اللغة العربية، لأنها لغة أصحاب الأرض الأصليين، وهو يريد إلى جانب احتلال الأرض، احتلال اللغة، ومحو معالمها بالكامل من فلسطين، والأمر قد لا ينطبق على فلسطين وحدها، بل هو أمر غالب في البلاد التي يتم احتلالها، حيث يتم التركيز بشكل أساسي على محو لغة المحتل، أو على الأقل فرض لغة

---

(١) انظر: الرفاعي، جمال: أزمة اللغة العربية في إسرائيل: مؤثرات عبرية في لغة الصحافة الفلسطينية في إسرائيل، ط مجلة الدراسات الشرقية – جامعة الملك سعود، الرياض، ع٤٠، ص٢٠٧.

(٢) الدراويش، حسين أحمد علي أبو كتة: أساليب اليهود في محاربة اللغة العربية في فلسطين، مهدى الإسلام – الأردن، ١٩٧٩، ص٧٠.

الاحتلال على الشعوب المحتلة، ومحاولة السيطرة عليها من خلال السيطرة على لغتها. "تظهر أهمية اللغة لدى الشعوب التي تتعرض للاستعمار والاحتلال والاضطهاد، فالدولة المستعمرة تفرض لغتها على الشعب المستعمر، وتحاول أن تطمس لغته من خلال استعمال لغتها في المؤسسات الحكومية والمدارس وغيرها من دور العلم والمعرفة، تركت هذه الدول المستعمرة بصماتها في حياة الشعوب المستعمرة، إذ هنالك في اللغة القومية ألفاظ دخيلة وجدت القبول والتداول بين الناس، حتى بعد زوال الاستعمار"(١).

وهنا تكمن الخطورة في الاستعمار اللغوي، الذي يترك أثره وتأثيره في الشعوب حتى بعد زوال الاحتلال العسكري، وبقاء لغته يعني استمرار الاستعمار بطريقة غير مباشرة لأنه يفرض ثقافته وتفكيره في الشعوب التي تتحدث بلغته.

ونظرًا للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، فإن اللغة العربية تتعرض لمخاطر حقيقية في صراع البقاء أمام العبرية، أو على الأقل الحفاظ على خصوصيتها في اللغة المحكية والمكتوبة في داخل فلسطين، وهذه المخاطر تتمثل في إلغاء الهوية العربية بكل مقوماتها، وإحلال هوية مغايرة تمامًا لشعب جديد على أنقاض شعب موجود أصلاً، ويمتلك الاحتلال الإسرائيلي وسائل القوة والهيمنة التي تمكنه من فرض لغته، والترويج لها، ويتم ذلك بطريقتين:

الأولى: طريقة جبرية، يتم فيها إحلال كلمات عبرية مكان كلمات عربية.

الثانية: طريقة طوعية، يتم فيها استخدام كلمات عبرية بديلاً عن كلمات عربية.

---

(١) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر، ص١٧.

أولاً- الطريقة الجبرية:

ويتم ذلك من خلال الجهات الرسمية التي تفرض المفردة العبرية وتجعلها بديلاً عن المفردة العربية، ويكون ذلك في المعاملات الرسمية والإعلانات الحكومية، وأسماء الأماكن والبلدات والطرق، ومع هذا الاستخدام لا يملك الفلسطينيون إرادة أو خيارًا في استبدال الكلمات أو تغييرها، لأنها تكون مفروضة عليهم. "ولم يكن استخدام الأسماء العبرية صدفة، وإنما هو وليد الصراع الفلسطيني الإسرائيلي وامتداد له، فالاسم العبري يخدم الصالح العام الإسرائيلي، لأن الأجيال الشابة العربية لم تشهد النكبة ولم تقرأ عنها، وهي تتقبل الاسم بداية كأمر مسلم به، ومن ثم تذوّب في أعماقها بأن المكان أو الحيز ملك لليهود، ولا يحق للفلسطيني المطالبة بإرجاعه"[1]. ويكون الأمر أكثر صعوبة بالنسبة للفلسطينيين الذين يعيشون في فلسطين عام ٤٨، وذلك بسبب الارتباط بين الفلسطينيين واليهود في فلسطين. "والمواطنون العرب الذين يعيشون في إسرائيل يختلفون عن باقي العرب في البلدان العربية من حيث الاستعمال اللغوي واستهلاكه، ففي الأقطار العربية يتأثر المتحدثون بالإنجليزية والفرنسية (خاصة في لبنان والجزائر)، ويتأثر العربي الإسرائيلي لغويًّا باللغة العبرية بشكل واسع، فبالرغم من المنزلة الرفيعة التي تحظى بها اللغة العربية في نفوس الناس كونها لغة الأم والدين، ولغة القرآن الكريم والسنة الشريفة، ولغة التراث، ولغة العلم والعلماء في العصور الزاهرة، فإننا نجد أن العبرية أصبحت جزءًا لا يتجزأ من المخزون اللغوي للمواطن العربي"[2]، وهنا تكمن مشكلة التعامل مع اللغة

---

(١) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر، ص١٩٠.

(٢) مرعي، عبدالرحمن: تأثير العبرية على اللغة العربية، مجلة الرسالة، كلية بيت بيرل، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص١٢٩، ١٣٠.

العربية، التي تصارع من أجل البقاء في مواجهة العبرية، وينظر إلى العربية في هذا المحيط على أنها لغة الأقلية، ويجبر الفلسطينيون على التعامل مع العبرية باعتبارها اللغة الرسمية التي يحتاجونها في كل أمور حياتهم اليومية والرسمية، وما يزيد الأمر تعقيدًا بالنسبة لهم هو انقطاعهم عن محيطهم العربي بعد عام ٦٧، وانحصار علاقاتهم اللغوية بما هو موجود في حدود الدولة الجديدة التي أغلقت أبوابها عليهم، وفرضت اللغة العبرية في أمور حياتهم المختلفة، الأمر الذي يحتاج معه إلى التعبير بالعبرية باعتبارها لغة العلوم والمعارف، ولهذا السبب "يلجأ الكثير من المتخصصين إلى استخدام اللفظ العبري، لأنهم لا يعرفون المصطلح المهني المرادف بالعربية"(١).

وتأتي الكلمات العبرية المفروضة على الاستعمال العربي في أكثر من مجال من مجالات الحياة، ابتداءً من أسماء الشوارع والطرق والمدن والبلدات والأسواق، وغير ذلك، "أدت تلك الهيمنة اللغوية على المشهد العام إلى صبغ المشهد اللغوي (Language Landscape) في إسرائيل بصيغة عبرية وحيدة. فلافتات الطرق، وأسماء المواقع والشوارع والبنايات والأماكن والمؤسسات، ولافتات الإعلانات، والإعلانات التجارية، أصبحت مكتوبة بالعبرية، الأمر الذي أدى إلى حضور تلقائي واسع للعبرية في أوساط الشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨"(٢)، ويبدو ذلك بشكل واضح في أسماء المدن الفلسطينية، التي يحاول الاحتلال تغييرها، ويبدو ذلك في أسماء المدن الرئيسة في فلسطين المحتلة عام ٤٨، أو ما تم احتلاله عام ٦٧.

---

(١) مرعي، عبدالرحمن: تأثير العبرية على اللغة العربية، مجلة الرسالة، كلية بيت بيرل، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص١٢٩، ١٣٦.

(٢) حسن، أحمد حسن: عربية الشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨ المحكية والمكتوبة، ص٣٦٤.

فمن أسماء المدن الرئيسة في فلسطين عام٤٨ على سبيل المثال:

الاسم العربي	الاسم العبري
- المجدل	أشكلون (אשקלון)
- تل الربيع	تل أبيب (תל אביב)
- سهل ابن عامر	سهل يزراعيل (עמק יזרעאל)
- عين جالوت	عين مارود (עין מרוד)
- عكا	أكو (עכו)
- يافا	يافو (יפו)
- السهل الساحلي	الشارون (השרון)
- بئر السبع	بئير شيفع (באר שבע)
- أم خالد	نتانيا (נתניה)
- رأس العين	روش هعين (ראש העין)
- الخالصة	كريات شمونة (קרית שמונה)

ولم يكتف الاحتلال بتغيير أسماء المدن والأماكن في فلسطين عام ٤٨ إلى أسماء عبرية، ولكنه انتقل بعد احتلال كامل فلسطين عام ٦٧، إلى إحلال أسماء عبرية بدلاً من الأسماء والمسميات العربية، وركز بشكل أساس علـــى أســـماء

المدن الرئيسة والمعالم التاريخية، نذكر من هذه الأسماء **على سبيل المثال** وليس الحصر:

- نابلس أصبحت شخيم
- الخليل أصبحت حبرون
- الضفة الغربية أصبحت يهودا والسامرة
- أريحا أصبحت يريحو
- القدس أصبحت أورشليم
- بيت لحم أصبحت بيت ليحم
- جسر الملك حسين أصبحت جسر اللنبي
- رأس العين أصبحت روش هاعين
- فلسطين أصبحت ايرتس إسرائيل
- البحر الميت أصبحت يم هميلح (يم عحليل)[١]

ويحاول الاحتلال استعمار الكلمات، وتحويلها من جذورها التاريخية والحضارية إلى كلمات بديلة بهدف طمس الوجود والهوية للشعب الفلسطيني على هذه الأرض، وهذا الاستعمار يأتي نتيجة دراسات وخطط استراتيجية يمهد لها الاحتلال. "غالبًا ما تحمل الأسماء الجديدة اسم البقعة العربية المقامة عليها مع تحريف لهذا الاسم ليتوافق مع اللغة العبرية"[٢].

---

(١) ولمزيد من معرفة أسماء المدن والبلدان والأماكن التي تحولت أسماؤها من العربية إلى العبرية، ينظر: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية. عبدالكريم، إبراهيم: تهويد أسماء المعالم الفلسطينية، والرجوع إلى كتاب الدباغ، مصطفى: بلادنا فلسطين.

(٢) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية بين الماضي والحاضر، ص١٩١.

ثانيًا-الطريقة الطوعية:

وهنا يأتي استخدام اللغة العبرية بطريقة طوعية، ورغبة في توظيفها بطريقة عفوية غير مقصودة في المعاملات التجارية، والحياة اليومية، والمعاملات الرسمية، وعند استخدام اللغة في هذا المجال يجب علينا أن نميز بين تعلم اللغة العبرية في المؤسسات التعليمية الفلسطينية أو مراكز الأبحاث، وبين إحلال مفردات اللغة العبرية محل مفردات عربية، فتعلم العبرية أمر مقبول ونشجع عليه باعتبار اللغة العبرية لغة سامية لها علاقة بالعربية، ولكن ما نحذر منه هو إحلال مفردات اللغة العبرية بديلاً عن مفردات باللغة العربية، واعتماد هذه المفردات في لغة التعامل اليومي، الأمر الذي يشكل خطرًا على اللغة العربية، ويؤدي -مع مرور الوقت- إلى إضعافها، وهذا ما يسعى إليه الاحتلال "بالرغم من الاعتراف العلني بالعربية لغة رسمية، إلا أن وضع اللغة العربية أصبح جزءًا لا يتجزأ من طبيعة الصراع على فلسطين، ويعود جذوره إلى بدايات المشروع الصهيوني المتمثل في اعتماد اللغة العبرية وإقحامها في قلب المعركة القومية ضد اللغة العربية، وقد انعكس ذلك في مجالين: أولهما تهميش اللغة العربية وتضييق الخناق عليها، وثانيهما طمس المعالم العربية وتهويدها"[1].

وهنا يجد العربي نفسه مضطرًّا إلى استخدام اللغة العبرية، ويستسلم للأمر، وما ينطبق على الإنسان العادي، ينطبق على المثقف أيضًا في داخل فلسطين ٤٨. "إحدى الصعوبات التي تواجه المثقف العربي في هذه البلاد، هو النقص في استخدام اللغة المهيمنة، إذ يلجأ الكثير من المتخصصين إلى استخدام اللفظ العبري؛ لأنهم لا يعرفون المصطلح المهني المرادف بالعربية"[2] وهنا يتم

(١) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية بين الماضي والحاضر، ص١٧٩.

(٢) المرجع السابق، ص١٢٩، ١٣٠.

استخدام اللفظ العبري بطريقة طوعية لاعتبارات مهنية، ولا يجد المثقف العربي بديلاً عن هذه المفردات.

والأمر نفسه يتكرر عندما تشكل المفردات العبرية جزءًا أساسيًّا من حياة الفلسطيني، وربما وردت الكلمات العبرية بشكل أساسي في الأمور التي تتعلق بالاحتلال، والاحتكاك اليومي المباشر مع جيش الاحتلال، ويمكن تصنيف هذه الكلمات، حسب الموضوعات الأساسية في حياة الفلسطيني، ونختار أمثلة من هذه المفردات على سبيل المثال، وليس الحصر:

كلمات تتصل بأمور عسكرية يومية:

كلمة (محسوم) (מחסום) ومقابلها العربي: حاجز

وهي من الكلمات التي تتكرر كثيرًا في الاستخدام اليومي، نظرًا لكثرة الحواجز الإسرائيلية، وحاجة الفلسطيني لاستخدام هذه الكلمة لغرض عبور الحواجز الإسرائيلية، ونظرًا لكثرة استخدام هذه الكلمة، فقد أصبحت اللفظة العربية مهملة وقليلة الاستعمال، وجمعها الفلسطينيون وفق مقاييس لغوية عربية فأصبحت (محاسيم) وليس (محسوميم) كما هو في اللغة العبرية، ووصل الأمر بكثير من الفلسطينيين إلى الاعتقاد أن الكلمة عربية، وليست عبرية.

وهناك أمثلة كثيرة مشابهة، مثل:

(سيجر) (סגר) ومقابلها العربي: مغلق.

(مركباه) (מרכבה) ومقابلها العربي: دبابة.

(مشمار جفول) (משמר הגבול) ومقابلها العربي: حرس حدود.

(شومير) (שומר) ومقابلها العربي: حارس.

(خيال) (חייל) ومقابلها العربي: جندي.

(شحرور) (שחרור) ومقابلها العربي: إفراج.

(مشترا) (משטרה) ومقابلها العربي: شرطة.

والسبب في استعمال هذه الكلمات هو ضرورة تعامل الفلسطيني مع جنود الاحتلال، والإجراءات العسكرية على أرض الواقع، والمشكلة لا تكمن في استخدام هذه المفردات مع جنود الاحتلال، ولكن الأخطر من ذلك هو استخدامها بين الفلسطينيين أنفسهم، فكلمة (محسوم) على سبيل المثال أصبحت بديلًا قويًّا عن كلمة حاجز التي أصبحت مهملة أو في حكم الملغاة.

كلمات تتصل بأمور العمل:

وهي تخص شريحة العمال الذين يعملون لدى الإسرائيليين، وهم يستعملون هذه المفردات في تعاملهم المباشر مع أصحاب العمل، والأخطر من ذلك، أنهم ينقلون هذه المفردات إلى المجتمع الفلسطيني، ويتبادلون الكلمات العبرية بديلًا طوعيًّا عن المفردات العربية، وأكثر هذه المفردات تداولاً واستعمالاً:

- (مناهيل) (מנהל) ومقابلها العربي: مسؤول العمل.
- (أرجاز) (ארגז) ومقابلها العربي: صندوق كبير.
- (عفداه) (עבודה) ومقابلها العربي: عمل.
- (ويضيفون للكلمة) (إين عفداه) أي: لا يوجد عمل.
- (وييش عفداه) أي: يوجد عمل.
- كلمة (كيسف) (כסף) ومقابلها العربي: فلوس.

ويستعملون معها أيضًا (إين كيسف) أي: لا يوجد فلوس.

و(ييش كيسف) أي: يوجد فلوس.

وأما كلمات العمل فهي كثيرة، وأكثر هذه الكلمات استخدامًا في مجال البناء والزراعة –وهما القطاعان الرئيسان اللذان يعتمد فيهما الإسرائيليون على العمال الفلسطينيين–:

- (شايش) (שיש) ومقابلها العربي: رخام.
- (بجوم) (פיגום) ومقابلها العربي: سلالم خشب.
- (تيكونيم) (תיקונים) ومقابلها العربي: تصليحات.
- (ديكت) (דקט) ومقابلها العربي: لوح خشب عريض.
- (ديبج) (דבק) ومقابلها العربي: صمغ.
- (خومر) (חומר) ومقابلها العربي: مواد خام.
- (كرستا) (חומרי גלם) ومقابلها العربي: (مواد خام بشكل عام).
- (منوف) (מנוף) ومقابلها العربي: رافعة.
- (أرجاز) (ארגז) ومقابلها العربي: صندوق كبير.

وكلمات الزراعة، مثل:

- حماموت (חממות) ومقابلها العربي: بيت بلاستيك أو دفيئة.
- تفتوف (תפתוף) ومقابلها العربي: الري بالتنقيط.
- ريشت (רשת) ومقابلها العربي: شبك سياج.

مفردات الطعام والشراب:

- شمينت (שמנת) ومقابلها العربي: لبن دسم.
- شيمن (שמן) ومقابلها العربي: زيت.
- تبوزينا (תפוזינה) ومقابلها العربي: نوع من أنواع العصير.
- عسيس (עסיס) ومقابلها العربي: عصير.
- مرجرين (מרגרינה) ومقابلها العربي: زبدة.
- بفلا (וופלים) ومقابلها العربي: (بسكوت محشو بالشكولاته).

وكلمات أخرى كثيرة، وهي في معظمها تخص أنواعًا من البضائع الإسرائيلية التي يضطر الفلسطينيون إلى شرائها، وهم لا يعرفون لها مقابلاً عربيًّا، وفي حال وجود بدائل فلسطينية أو عربية، فإنها تأتي متأخرة بعد أن تكون الكلمات العبرية قد فرضت نفسها في لغة الخطاب اليومي، يضاف إلى ذلك حاجة الفلسطينيين إلى شراء هذه البضائع من الإسرائيليين وطلبها بمسمياتها العبرية، وعند عرضها للبيع يضعون أسماءها العبرية ولكن بحروف عربية تسهيلاً على المشترين العرب قراءتها وطلبها.

مفردات تستخدم في المواصلات والاتصالات:

- مونيت (מונית) ومقابلها العربي: سيارة أجرة.
- تحناه (תחנה) ومقابلها العربي: محطة انتظار.
- رمزور (רמזור) ومقابلها العربي: إشارة ضوئية.
- مخشير (מכשיר) ومقابلها العربي: جهاز اتصال.
- أسكرا (השכרה) ومقابلها العربي: سيارة تأجير.
- أزعكا (אזעקה) ومقابلها العربي: جهاز إنذار.
- تؤوريا (תיאוריה) ومقابلها العربي: امتحان نظري للسياقة.

وهناك كلمات أخرى تستخدم في أمور مختلفة:

- نخون (נכון) ومقابلها العربي: صحيح.
- حداش (חדש) ومقابلها العربي: جديد.
- بجروت (בגרות) ومقابلها العربي: شهادة الثانوية العامة.
- كوبات حوليم (קופת חולים) ومقابلها العربي: صندوق المرضى.

وهناك العديد من المفردات العبرية الأخرى بحيث يصعب حصرها، وهي بلا شك تشكل خطرًا يواجه اللغة العربية في داخل فلسطين، وتعكس عدم قدرة

الفلسطينيين على مواجهة الاستعمار اللغوي الذي يفرض نفسه على اللغة العربية، ويمكن القول إن "الدخيل العبري كظاهرة لغوية تقتحم لغتنا العربية من أوسع الأبواب، وانتشاره آخذ بالازدياد شئنا ذلك أم أبينا، ويشكل أحد الأسباب الرئيسة في إضعاف المواطنين العرب بلغتهم"(١).

إذن، نحن أمام خطر حقيقي يتهدد اللغة العربية، وتبدو محاولة التخلص من هذا الخطر صعبة، بسبب الاحتلال، وعوامل الهيمنة الإسرائيلية على حياة الفلسطينيين، وارتباط الفلسطينيين بالاحتلال في مختلف أمور حياتهم، الأمر الذي يجعل مفردات اللغة العبرية ضرورة ملحة في بعض الأحيان، وقد يكون استخدامها أسهل وأبسط لكثرة سماعها وتكرارها، وقد تصل محاولة تقاسم لغة الحوار بين اللغتين العربية والعبرية إلى إيجاد لغة ثالثة محكية عند الفلسطينيين على حساب لغتهم العربية، وهذا ما حذر منه الدكتور عبدالرحمن مرعي عندما قال: "هذه الظاهرة آخذة بازدياد مطرد، وستنتج في نهاية المطاف لغة وسطى وهي خليط من الفصحى والعامية والعبرية يطلق عليها اسم (هيرو أرب) أو (عربريت)"(٢).

الأثر الفكري والنفسي المصاحب للاستعمار اللغوي:

يبدو أثر العبرية واضحًا في كثير من مجالات الحياة العربية، على مستوى الشارع العام، أو لدى المثقفين العرب، والعرب عندما يستخدمون العبرية، فإن الأمر يتجاوز مجرد كلمات إلى فكر وثقافة، فالكلمة العبرية تحمل ثقافة المحتل، وتعكس أيضًا الغرض المادي والمعنوي من وراء استخدام هذه الكلمات، فعلى

---

(١) مرعي، عبدالرحمن: العربية والعبرية بين الماضي والحاضر، ص١٥١.

(٢) عودة، خليل: الآثار السلبية للاحتلال الإسرائيلي على مستقبل اللغة العربية في فلسطين، مؤتمر استشراق المستقبل، منشورات جامعة فيلادلفيا، ٢٠٠٥، ص٣٥٦.

مستوى الفكر، يصبح للكلمة دلالة جديدة مرتبطة بالاحتلال؛ فمدينة (المجدل) الفلسطينية على سبيل المثال، أصبحت (أشكلون) بالعبرية، واستخدامُ الكلمة العبرية بديلاً لغويًّا عن الكلمة العربية يجعل لها دلالة جديدة ومفهومًا جديدًا، وهذا ينعكس بشكل واضح على طريقة التعامل مع المدينة باعتبار عنوانها الذي يحمل الطابع اليهودي، ويلغي في المقابل الطابع العربي، أو الدلالة الفلسطينية التي تربط بين الاسم والمسمى.

ومثل هذا ينطبق على كثير من الكلمات العبرية التي تحمل دلالات فكرية ونفسية جديدة، تهدف إلى إحلال دلالات جديدة في الفكر الفلسطيني تقابل الدلالات الأصلية التي تحملها الكلمات العربية.

ومثل هذا أيضًا في كلمات الطعام والشراب والعمل، فالفلسطيني يأكل طعامًا يهوديًّا، ويلبس ملابسهم، ويعمل بآلات وأدوات إسرائيلية، وكل هذا يعكس نمطًا جديدًا من التفكير والسلوك والأثر النفسي المصاحب لذلك.

والأمر قد يتجاوز السلوك الفردي أو نمط الحياة اليومي، إلى المثقف الفلسطيني الذي يجد نفسه بحاجة إلى استخدام مفردات عبرية، وبشكل خاص عند الأدباء الفلسطينيين عام ٤٨، ففي كثير من أعمالهم الأدبية وكتاباتهم اليومية، يستخدمون ألفاظًا عبرية، ويقتبسون مصطلحات مستعارة من العبرية. تؤشّر تلك الاقتباسات ومظاهر التداخل اللغوي العبري في النتاجات الأدبية للشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨ إلى تحولها إلى سمة من سمات ذلك الأدب عمومًا، فغدت العبرية تشكل رافدًا ثقافيًّا للشعب الفلسطيني الذي لم تفلح محاولات تهجيره، وبات يشكل أقلية في المشهد الثقافي العام، ويفرض اليهود أنفسهم في أبسط مكونات الحياة العامة من أبسط تكويناتها، لذلك نرى الرواية تعج بالمفردات العبرية أو الجمل المنفصلة أو المتلاحقة أو الواقعة في سياق

الحديث أو الحوارات، الأمر الذي يثير مشكلة تأثر العربية بالعبرية لدرجة قد توصف بأنها غزو جديد[١].

وقد يكون لاستخدام الكلمات العبرية أثر سلبي على المتلقي العربي الذي ينظر إلى هذه اللغة على أنها لغة العدو المحتل للأرض، ولكنه في المقابل يجد نفسه بحاجة إلى استخدامها، وقد ينعكس ذلك بشكل سلبي على الشخصية العربية التي تجد نفسها في حالة صراع على بقاء الهوية، والتمسك بالثقافة العربية، والانتماء للأرض والجذور والأصول، وربما يكون الخطر أقوى وأشد على الأجيال اللاحقة التي قد ترث هذه المفردات على أنها جزء من لغتهم الأم، "ويشكل هذا الكم الهائل من الدخيل الذي يغزو جميع طبقات المجتمع العربي، وإن كان بدرجات متفاوتة، خطرًا لغويًّا على العربية، ويفتح المجال لنشوء لغة مشوهة تمتزج فيها العبرية باللغة العربية العامية"[٢].

والعرب يدركون هذا الخطر، ويحاولون جاهدين التمسك بلغتهم التي تعني بالنسبة لهم الهوية والفكر والثقافة، بينما تنظر الحركة الصهيونية إلى العرب نظرة استخفاف، وترى في ثقافتهم ثقافة عالية ومرموقة، مقابل ثقافة العرب المهزومة.

وإذا كانت اللغة تحدد ثقافة الإنسان، فإن الحرص العربي يزداد على التمسك باللغة العربية التي تحدد ملامح الهوية الفلسطينية والثقافة العربية.

محاولات للمواجهة:

أمام هذا الوضع المطرد في توسع دائرة اللغة العبرية على حساب العربية، فإن الأمر يحتاج إلى مراجعة ومواجهة، وهذه المحاولات لا بد أن تبدأ أولاً من

---

(١) حسن، أحمد حسن: عربية الشعب الفلسطيني أبناء الـ٤٨ المحكية والمكتوبة، ص٣٦٤.
(٢) السابق نفسه، ص٣٦٧.

فلسطين، لأن خطر الاستعمار اللغوي يزداد في فلسطين، نتيجة الاحتلال وهيمنته المباشرة على مجريات الحياة فيها، ويمكن تقديم عدة اقتراحات لمواجهة هذا الخطر اللغوي:

أولها: تنشيط دور مجمع اللغة العربية الفلسطيني، وتحويله من مجرد مؤسسة اعتبارية، إلى مؤسسة فاعلة يشرف عليها متخصصون قادرون على مواجهة التحديات الحاصلة في فلسطين.

ثانيها: إعطاء موضوع الغزو اللغوي المرتبط بالاحتلال الأهمية القصوى لدى ذوي الاختصاص، لوضع خطط عملية للمواجهة، بحيث تشمل نشرات توعية وتوجيه.

ثالثها: ربط قضية اللغة بالموضوع الوطني، واعتبار اللغة الدخيلة جزءًا من الاحتلال وممارساته في تهويد الأرض، وإلغاء الهوية الفلسطينية.

رابعها: التركيز على النشء الجديد في المدارس والجامعات، وعدم قبول كلمات غير عربية في قاعات التدريس أو الحوار اليومي، واعتبار ذلك عملاً يمس الهوية الفلسطينية والثقافة العربية.

خامسها: توجيه وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية، إلى ضرورة رفض استعمال الكلمات العبرية البديلة عن الكلمات العربية.